ربيع النبوي — ربيع الثاني ١٣٥٤ السنة الرابعة — Quatrième Année Juin - Juillet 1935

مجلة المغرب

تثقيفية عمرانية أدبية MAJALLAT EL MAGHRIB مديرها : محمد الصالح ميسة

القصائد المولدية

خير احتفال ما يقام لذكره خير المواسم موسم الميلاد

كنا تناولنا في العدد الثاني من المجلة موضوع القصائد المولدية وأثار إذ ذاك ما كتبناه استياء شديداً في بعض الاوساط حتى كادت هاته الاوساط أن ترمينا بالمروق من الدين والحال أننا لم نقصد إلا خيرا وانما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، ومما كتبناه في هذا الموضوع أن الحسن درجات ومن الحسن ما يفوق الشعر ولاجل هذا ـ حالة ان آداب العرب جلها في المديح ـ لا نجد فيها سوى قصائد قليلة جدّاً في النبي صلى الله عليه وسلم ، سئل بعض الشعراء عن سبب سكوتهم فأجابوا أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلى من أن يمكن للشعر مدحه ، وقد أصاب هؤلاء اذ سكتوا وأصاب من خالفهم اذ لم يسكتوا سكوتهم ولعل القول الفصل في هاته المسألة كغيرها من المسائل الاخذ بالوسط ، وقلنا أن مدح خير الخلق على المسطرة الجارية عبث ظاهر فان الثناء كيفما كان لا يصل اليه ولا يمكن لاشعر شاعر أن يصور محاسنه وهي أرقّ من الشعر وأوسع من الخيال فلا نظن أن أحداً يقرؤ مثل هذا البيت من ميمية البصيري رضي الله عنه

وراودته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فأراها أيما شمم

ولا يسلم أن البصيري أخطأ في مدحه اذ أن ممدوحه اكبر من الدنيا وما فيها واكبر من السماوات والارضين ولا يخطر بالبال ان نعد ترفعه عن الذهب واحتقاره للمال أمراً عظيما في حقه حتى يذكر ذلك عنه على سبيل الثناء، أما إذا فهم الشاعر أن ممدوحه لا يزينه الشعر بل هو الذي يزين الشعر وإذا فهم ذلك التصق بالارض وجعل خده على التراب تعظيماً وإجلالاً ثم اكتفى بوصف ما يراه واقتصر على ما يبصره من الرفعة والجلال فان القول على هذه الصفة محمود مشكور ، وأتينا بأمثلة حسنة كقول عباس بن مرداس :

رأيتك يا خير البرية كلها
نشرت كتاباً جاء بالحق معلما
ونورت بالبرهان امراً مدمسا
واطفأت بالبرهان ناراً مضرما

فاجاد اذ اقتصر على الحكاية واكتفى بالاشارة ، وكالبيت :

وابيض يستسقي الغمام بوجهه
ربيع اليتامى عصمة للارامل

قالت أم المؤمنين عائشة هذا البيت وابوها أبو بكر

الصديق على فراش الموت يغمض فنظر اليها وقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغ البصيري ايضاً حد الكمال كما نهج هذا المنهج واتبع هذا السبيل مثل قوله في الرسول :

ومبلغ العلم فيه انه بشر وانه خير خلق الله كلهم

وقوله في وصف الرسالة :

لم يمتحنا بما تعيا العقول به رفقاً علينا فلم نرتب ولم نهم

وقوله في ابدية هاته الرسالة :

بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا

من العناية ركناً غير منهدم

وقلنا أننا لا نقصد بكلمتنا تلك الانتقاد وإنما نقصد الاشارة فقط الى اللبس الذي ينبغي للاداب العربية ان تتحلى به في هذا العصر المتصف بالحياة في كل شيء ، وأن ما يطرقه الشعراء دائماً من تكثير الزاد ونبع الماء وسجود الشجر وانشقاق القمر وتضعضع إيوان كسرى وغير ذلك من الوقائع حقاً معجزات ولكن أكبر منها أثر البعثة المحمدية على المجتمع الانساني باخراج النور من الظلام وتزويد العقول بالحكم العالية وتغذية الارواح بهدي الدين واكبر منها إسقاط معالم الشرك وتهديم صروحه وتنضيب مياهه واكبر منها أيضاً تمزيق الحجب التي نسجتها الاجيال بين الخلق وخالقهم وكسر القيود والسلاسل التي كانت تؤلم الانسانية في ذاتها وفي أعز شيء لديها : ضميرها واللسان ، واكبر منها حفظ الذكر المنزل من طوارئ الدهر وحوادث الزمان ، فهاته هي المعجزات التي يجب أن لا يخلو مديح منها ، ثم بعد ذلك لا حظنا في مدح السلطان انه ينبغي للشعراء ان يهملوا الاوصاف التي تطلق على ممدوحهم كما تطلق على غيره أو لا تطلق بالكلية على انسان في الوجود كيفما علت درجته وارتفعت رتبته وأن ينهجوا منهج التحقيق والتميز ويذكروا للملك المعظم بالاخص ما قام به من الاعمال الاصلاحية المخلدة لاسمه في التاريخ مقروناً بنهضة مباركة وحركة ميمونة ، وأتينا على وجه التمثيل بما مدح به ابن هرمة المنصور العباسي في حكاية مشهورة :

له لحظات عن جفا في سريرة

اذا كرها فيها عذاب ونائل

لهم طينة بيضاء من آل هاشم

اذا اسود من كرم التراب القبائل

اذا ما أتى شيئاً مضى كالذي أتى

وإن قال إني فاعل فهو فاعل

واذا كنا ذكرنا في المقال أن شعراءنا سلكوا هذا المسلك على وجه المجاملة وتسويغاً للنقد في بدإه لا غير بشأن الكثير فان القصائد التي جادت بها قرائحهم هذه السنة جديرة حقاً بكل تقدير ، فليس هناك نسيب ونحيب ولا جمل ميتة ولا صور جامدة ولا نعوت كاذبة واوصاف بائدة بل ان قصائد هذا العيد فيها حياة وذوق وشعور وفيها مطابقة لاحوال الوقت وما يحتاج في الصدور وفيها اصلاح وتجديد .

ونحمد لبعض شعرائنا بالاخص كالاستاذ معمري والاستاذ ابن زيدان أن تعرضوا في قريضهم للاحسان .

فان حماية الضعفاء والمحتاجين من أجل الاصلاحات التي أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يات بها دين أو شريعة أو قانون قبله ، وحتى اليوم لا زالت الحضارة الغربية لم تمنح الضعفاء حقوقهم كاملة كما منحها الاسلام منذ قرون طوال رغم اعتراف جل المفكرين بأن ذلك خير حل لعدد من المشاكل الاجتماعية ، وليس الاحسان من ضرورات الانسانية فقط بل له أيضاً في تزكية الاخلاق

وتربية النفوس وتمتين عرى الاتحاد والاخاء بين طبقات الامة أثره الخطير .

وكان المسلمون في عز لانهم كانوا ينفقون مما يحبون واذا صاروا اليوم الى ما هم عليه من انحطاط وخسران فليس لذلك من سبب سوى أنهم اهملوا هذا الواجب الاكيد ، ونحن ندعو الى ما كان عليه اجدادنا الاكرمون ونلح في ذلك الحاحاً قد يتضجر منه كثير لانه ليس من المعقول ان يموت ناس جوعاً حالة ان انقاذهم من ايسر الاشياء ولانا من جهة اخرى نحب ان نبني نهضة المغرب على امتن اساس وهو اساس الرحمة وأن نكلها الى حماية الفقراء ودعوات المساكين .

فلا غرو اذا سرنا التفات شعرائنا هذه المرة الى الاحسان وفي نظرنا أن كل مديح لا يتعرض الى هذه المأثرة الاسلامية العظيمة ناقص .

وسرنا أيضاً أن ذكروا لجلالة الملك المؤيد عنايته السامية بالخيريات التي هي صفة يمتاز بها على غيره وينبغي ان لا يهملها المادحون ، ففي عصر جنابه العالي تكونت حركة احسانية واسعة النطاق لم يقع مثلها في أي قطر من اقطار الاسلام ، فتأسست جمعيات خيرية وملاجئ للايتام وديار لايواء العجزة الى غير ذلك من المؤسسات الاسعافية في كل المدن وفي كثير من قرى البادية وفي عصره قورت الصدقة من مظاهر الافراح في بعض الاعياد وقد انتشرت حركة الاحسان خارج المغرب وأخيراً تأسست بعاصمة فرنسا نفسها جمعية خيرية وكان المؤسسون لها مغاربة ، والنجاح الذي لاقته هاته الحركة يبعث على الامل الوطيد في أن تتم في عصره الزاهر بما تحتاجه من تنظيم يكفل لها الدوام والتعميم .

هذا ويجد القراء عقب هذه الكلمة اثنتين من القصائد احداهما لحضرة رئيس الديوان العالي الاستاذ محمد معمري والاخرى للشاعر البارع السيد عبد المجيد بن عبد الله الفاسي ليلاحظ الفرق بين شعر هذه السنة والسنوات قبله ونقلنا الاولى عن رصيفتنا «السعادة» الغراء وبلغتنا الثانية من منشئها الفاضل وننشر قسطاً منها فقط لضيق المقام :

لاحت البشرى من ربا عرفات ✡ واستنار الهدى بكل الجهات
لاح برق يشيم منه فلاحا ✡ كل داع الى العلا والنجاة
ورنت للسعادة الانفس الحـ ـرة ترجو بالدين جمع الشتات
ألفت من عناية الله لطفاً ✡ تعتريها في حالك الظلمات
كلما اشتدت العواصف تترى ✡ لتهين العزائم الراسخات
توعد الجمع أن تدمر مثوا ✡ ه بشر الدواهي والقاصفات
فرج الله كربة الناس من حيـ ـث تظن النجاء غير مواتي
كانت العرب في ظلام تعدٍّ ✡ يشتكي الكل من قلوب قساة
من ضلال اعتقادهم باد دين الـ ـحق والرشد بين قوم حفاة
لا عقول ترد منهم غويا ✡ لا علوم تمهد الحاضرات
لا أمان يسهل السعي للخيـ ـر ونفع العباد بالحركات

وانمحى من قلوبهم كل رفق ✡ فاشنوا العدا بوأد البنات
بينما أقفرت بلادهم القفـــــراء من مرشد الى الصالحات
بعث الله صفوة الخلق يدعو ✡ هم الى الدين واقتفا البينات
فزكت منهم الضمائر حتى ✡ اخصب الرشد جائح العرصات
وأقام الهدى مقام ضلال ✡ والبذاء استحال طيب حيات
اورقت دوحة المعارف فيهم ✡ فسرى الناس تحت ظل الهداة
وارتوى الكل من حياض كتاب ✡ يلهم الناس اطيب الطيبات
فيه تطهير قلب كل منيب ✡ فيه رشد لرائد الحسنات
من يقمه اهتدى لخير سبيل ✡ ونجا من روائع الموبقات
واكتسى بالصلاح عز فلاح ✡ ضامن نيل أرفع الدرجات
صار عدوانهم صفاء وحلفا ✡ بدلوا البخل بالندى والصلات
هجروا الفحش بعد ما الفوه ✡ سلكوا نهج اهذب الخفرات
والانوا القناة للحق بعد الـــــصلف العادي للردى والممات
هذبوا بعد نفسهم كل جار ✡ فاستقامت بهم جفاة الرعاة
واقاموا حضارة يرتضيها الـــــعقل والدين في جميع الجهات
مدنوا الشرق والمغارب حتى ✡ أزهر الكون من حميد الصفات
فزها من فخارهم كل عصر ✡ وتدانت كل القرى النازحات
ان يكن سالف العصور تحلى ✡ برشيد سما الى الزاكيات
زان بغداد بالمفاخر علماً ✡ وحباه بأجمل النظرات
أو تصل بالفحول اندلس الخضـــــراء تختال في الحلى الفاخرات
فكفى قاصي المغارب فخراً ✡ دولة تاجها علي الصفات
زان بالعدل عصره كل فحل ✡ من بنيه وفاز بالصالحات
أو ما تبصر العجائب فيهم ✡ كم أفادوا من يانع الثمرات
لم تفز امة بمثل همام ✡ ساد بالفضل والندى والتقاة
تاج هام العلا أبو الفتـــــح امام النهى رفيع القناة
شمس عز محمد الفخر طغرا ✡ ء الهدى والفضائل الراجحات
ارتقى صهوة العلاء بحق ✡ فاحلته أرفع الشرفات
مغدق الخير للعباد بما اســـــداه للغرب من جديد الحياة

منقذ الدين من مفاسد بدع ✡ ناشر العلم بعد طول سبات
منفق في سبيل ما أمر اللـــــه ولا من يبطل الصدقات
قد اقام الهدى على سنن العد ✡ ل معيداً لمجد أهل الثبات
من الانوا القلوب في كل عصر ✡ حيث كانوا النجوم في الظلمات
سيد تجتلي السماحة فيه ✡ لزمته كالظل في الهاجرات
ربنا زده منك فتحاً مبيناً ✡ إنك الفاتح الكثير الهبات
ثم وفقه للصلاح بفضل ✡ منك يا من يحقق الدعوات
وأعنه على النهوض بقوم ✡ الفوا العز واعتلا الصهوات
صن بنيه من شر كل حسود ✡ ومن الرجس واقتفا الشبهات
حسن السمت من به يكمل الظـــــن بنعماك يا قديم الصفات
واخاه عبيدك الطالع الميـــــمون سعد السعود والنفحات
اصلح الدين فيهم واقمهم ✡ ملجأ الكل لانجلا الغمرات
ليد الجميع كفا لشكر ✡ بكمال الرجاء والرغبات

محمد معمري الزواوي

***

غنِّ يا شعر فقد لذَّ الغناء ✡ وتشوّقنا أناشيد الهناء
غنِّ يا شعر فقد زال الظلام ✡ وتولى وانجلى فجر الضياء
وسما الكون بعيد ساطع ✡ مشرق الطلعة موفور البهاء
غنِّ يا شعر بعيد المصطفى ✡ وبيوم المسلمين العظماء
وبعيد الحقّ وضاح الجبين ✡ وبيوم السلم خفاق اللواء
وبعيد العدل والدين المتين ✡ وبيوم الفاتحين الشهداء
غنِّ يا شعر بذكرى المجتبى ✡ هذه ذكرى زعيم النصحاء
بينما الامة في شرك عميق ✡ وخداع ونفاق ورياء
وحروب طاحنات مهلكات ✡ وافتراق ونفور وجفاء
ونظام فاسد مستهجن ✡ وخصال داعيات للفناء
بئست الفكرة وأد الفتيات ✡ قبحت فكرة ظلم الأقوياء
هكذا العالم في جهل مهين ✡ وضلال واغتصاب واعتداء
يستبدُّ الرؤساء الحاكمون ✡ ويسود الجاهلون الادنياء

قام فيهم هادماً تلك الشرور ✡ مرشد الخلق الى دين البقاء
منهض العالم من غفوته ✡ مصلح الفكر رئيس الحكماء
قام فيهم داعياً للصالحات ✡ ناصحاً أن يسلكوا نهج النجاء
قرَّر التوحيد حتى وحدت ✡ ربها دولة شرك وافتراء
جمع العرب على الاخلاص للد ✡ ين فكانوا يستلذُّون الفداء
وتحابوا بعد ما طال الخلاف ✡ وعلى النصرة للدين الإخاء
نبذوا عنهم تقاليد الجدود ✡ وسعوْا نحو نهوض وارتقاء
عرفوا الحق فجاءوا للرسول ✡ بقلوب طاهرات وولاء
عاهدوا المختار أن يستمسكوا ✡ بعرى الدين رجالا ونساء
عاهدوا الله فأوفوا بالعهود ✡ (واحترام العهد دين العقلاء)
قد بدا الحقُّ وباد المنكرون ✡ (وإذا الحقُّ أتى زال المراء)
ظهرت آيته في العالمين ✡ كظهور الشمس في أفق السماء
واهتدى الناس بدين العربي ✡ وتمادى الغيُّ بين الاشقياء
معجزات أيدت صدق الرسول ✡ واضحات ليس فيها من خفاء
وكتاب الله أرقى آية ✡ كله نور وهديٌ وشفاء
فيه معنى دين خير المرسلين ✡ فيه ما حير ذهن العلماء
آيةٌ باقيةٌ خالدةٌ ✡ يستمدُّ العلم منها والذكاء
أيها المسلم فكر في الكتاب ✡ باجتهاد واعتبار واعتناء
إنما أُنزل للفهم — وهل ✡ إن تركنا الفهم الا جهلاء ؟
لقي المختار في مبدئه ✡ ما يلاقي المصلحون الزعماء
من سباب الجاحدين الزائغين ✡ وازدراء الحاسدين اللؤماء
لا يفيد المكر أو هجو الرسول ✡ (أيرد الحقّ مكرٌ وهجاء ؟)
نقموا من صاحب الشرع الكريم ✡ (قال ربي الله يهدي من يشاء)
لم يهن - حاشاه - في موقفه ✡ (وهل الاسد تهاب الجبناء ؟)
(وهل الحقُّ يهاب المبطلين ؟) ✡ عصمة الله تُبيد السفهاء
قام بالسيف دفاعاً بعدما ✡ قاوموا الدين عناداً وامتراء
ما ابتغى ملكاً ولا مالا يزول ✡ وهو بالله شديدٌ ذو اكتفاء
- غنِّ يا شعر بسلطان البلاد ✡ صاحب العرش وأسمعنا الثناء

إن هذا المغرب الشعب الجميل ✡ يفخر اليوم ويمشي الخيلاء
نهضة المغرب في طور الكمال ✡ كل يوم في ازدياد ونماء
نهضة المغرب شيء مدهش ✡ (في يسير الوقت يحظي بالرجاء)
ملك المغرب سلطان البلاد ✡ شيد المجد المرجى والبناء
نشط العلم عماد النهضات ✡ وأباد الجهل مدعاة الشقاء
نعمة العلم اعتزاز للشعوب ✡ وخراب الشعب جهل وعماء
نظم العلم وما أبهى النظام ✡ إنني من حالة الفوضى براء
ملك حارب فينا المحدثات ✡ فاعتراها بعد موتٌ وانقضاء
بدع شوّهت الشعب فكا ✡ ن الشعب منها في انكسار وانحناء
فرقٌ مالت عن الهدي القويم ✡ وترى الهدي ابتداعاً واجتراء
أيها الشهم تناديك الفتاة ✡ حظها في العلم فاسمع للنداء
أمر الدين بتعليم البنات ✡ إن علم البنت للشعب ثراء
إنما العلم غذاء للنفوس ✡ أيّ دين يمنع البنت الغذاء؟
نحن والمرأة شيء واحد ✡ وكلانا في افتكار شركاء
أيها العاهل أنشيء صحفاً ✡ ولنا في صحف الدنيا ايتساء
إن روح العلم في العصر الجديد ✡ صحف تبرز صبحاً ومساء
أيها العاهل خذْ تهنيئةً ✡ من خديم في مصاف الادباء
هذه تهنيئةٌ من شاعر ✡ من زمان له للعرش انتماء
إن جدّي وأبي والسالفين ✡ من جدودي الوزراء الخطباء
وهم مطمح أنظار الملوك ✡ وهم للأُمراء السفراء
إن هذا العيد بالنصر المكين ✡ طالع فاهنأ بعيد الكبرياء
ولتدم شمساً وبدراً ساطعاً ✡ ولتعشْ ترفل في ثوب السناء

عبد المجيد بن عبد الله الفاسي

ميتم الرباط — ذكرنا في كلمتنا بالعدد السابق عن شركة الكهرباء والماء أن الميتم لا يستعمل الماء الجاري لان الشركة تطلب منه ما لا يقدر على ادائه وقد بلغنا أن عقيلة فخامة المقيم العام مدام بونصو أمرت بادخال الماء الجاري في الملجإ أثناء زيارة شرفت بها هاته المؤسسة أخيراً.

الصحة العمومية — زارت مدام بونصو - التي يرجع اليها الفضل في اصلاح مستشفى الرباط - هاته الايام الاخيرة سلا للوقوف على حالة المستشفى والملجإ الخيري هناك ودرس مشروع إحداث مستشفى جديد، فشكراً للمحسنة مدام بونصو عن اهتمامها المتواصل بالخيريات.